إياس بن معاوية

أعـــلام القضـــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

إياس بن معاوية - رحمه الله -

قاضي البصرة العلامة أبو واثلة. هو إياس بْن معاوية بْن قرة بْن إياس بْن هلال بْن رباب بْن عبيد ابن دريد بْن أويس بْن سوأة بْن عَمْرو ابْن سارية بْن ثعلبة بْن ذبيان بْن سليم بْن أوس بْن عَمْرو بْن أد بْن طابخة بْن إلياس بْن مضر، ومزينة بنت كلب بْن وبرة بْن عثمان، وأوس، ابني عَمْرو.

يروي عن أبيه، وأنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير. وروي عنه خالد الحذاء، وشعبة، وحماد بن سلمة، ومعاوية بن عبد الكريم الضائع وغيرهم. وكان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل. قلما روي عنه، وقد وثقه ابن معين، له شيء في مقدمة صحيح مسلم، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة كهلا.

وذكر في سبب توليه قضاء البصرة أن عُمَر بْن عَبْد العزيز لما ولي عدي بْن أرطاة البصرة ولي عدي إياس بْن معاوية بْن قرة القضاء. وقد روي أن عُمَر بْن عَبْد العزيز وجه رجلاً إِلَى البصرة، فأمره بالمسالة عَن إياس بْن معاوية، والقاسم بْن ربيعة الجوشني ويفتشهما عَن أنفسهما ليولي أولاهما بذلك؛ فجمع بينهما؛ فَقَالَ: إياس للرجل: سل عني، وعنه فقيهي المصر، الْحَسَن البصري، وابن سيرين، فمن أشارا عليك بتوليته وليته، وكان القاسم يجالسهما، وكان إياس لا يفعل؛ فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فَقَالَ: للرجل: أيها الرجل ليس بك حاجة إِلَى أن تسأل عني، وعنه، اسمع ما أقول لك، وأحلف عليه؛ والله الذي لا إله إِلا هو، ما أنا بصاحب ما تريدني عليه ولإياس أعلم به وأقوى عليه فإن كنت عندك صادقاً فما ينبغي أن تتركه وتوليني، وإن كنت عندك كاذباً فما ينبغي أن تولي كذاباً،

فوقف الرجل ودخله شك، وهم بتولية إياس؛ فقال: إنك وقفته بين الجنة والنار، فخاف على نفسه ففداها بيمين حارثة، يتوب منها ويستغفر ربه وينجو بها من هول ما أردته عليه؛ فَقَالَ: الرجل: أما إذ فطنت لهَذَا فأنت أفهم منه، وعزم على توليته (١).

ولما تولي إياس بْن معاوية القضاء أتاه الْحَسَن البصري، فبكى إياس؛ فَقَالَ لَهُ الْحَسَن: ما يبكيك؟ قال: يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة؛ رجل اجتهد، فأصاب فهو في الجنة، قَالَ: الْحَسَن: إن فيما قص الله مربياً داود وسليمان صلى الله عليهما ما يرد قول هؤلاء؛ يقول الله عز من قائل:{ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ} [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

فأثنى الله على سليمان، ولم يذم داود؛ ثم قَالَ: الْحَسَن: إن الله عز وجل أخذ على العلماء ثلاثاً؛ لا يشترون به ثمناً قليلاً، ولا يتبعون فِيْهِ الهوى، ولا يخشون فِيْهِ أحداً؛ وقرأ هذه الآية:{ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا } [المائدة: ٤٣ - ٤٤].

قال ابن شبرمة: قالوا لإياس بن معاوية: إنك معجب برأيك. قال: لو لم أعجب برأيي لم أقض به.

ولجده صحبة وأمه امرأة من خراسان.

(١) أخبار القضاة، ١ /٣١٣.

قدم الشام في أيام عبد الملك، ثم قدم على عمر بن عبد العزيز في خلافته، ثم قدم مرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن القضاء.

كان إياس قاضياً بالبصرة مرتين، وكان عاقلاً من الرجال فطناً، كان فقيهاً عفيفاً.

قيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك لك؟ قال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي، وفرغني لآخرتي.

ذكر إياس بن معاوية عند ابن سيرين، فقال: إنه لفهمٌ إنه لفهمٌ.

قال ابن شوذب: كان يقال: يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل.

فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم (١).

وكان يضرب به المثل في الذكاء، والدهاء، والسؤدد، والعقل (٢).

مواقف من حياته – رحمه الله –:

لولا ثلاث خصال فيك ما كان في الدنيا مثلك

عَن ابن شوذب قال: قيل لإياس بن معاوية لولا ثلاث خصال فيك ما كان في الدنيا مثلك؛ قال: وما هن؟ قيل له: تسرع في القضاء بين الخصمين إِذَا أدليا إليك؛ قال: وماذا؟ قيل: وتجالس الدون من الناس؛ قال: وماذا؟ قيل: وتلبس الدون من الثياب؛ قال: أما قولكم: تسرع في القضاء بين الخصمين؛ فخمسة أكثر أو ستة؟ قالوا: ستة؛ قال: لقد أسرعتم في الجواب؛ قالوا: ومن يشك في خمسة وستة؟ قال:

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٣٩.

(٢) طبقات خليفة ٢١٢، المعارف لابن قتيبة: ٤٦٧، ثمار القلوب: ٧٢، حليه الأولياء ٣ / ١٢٣، الشريشي ١ / ١١٣، وفيات الأعيان ١ / ٢٤٧، ٢٥٠، ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٣، البداية ٩ / ٣٣٤، شذرات الذهب ١ / ١٦٠، تهذيب ابن عساكر ٣ / ١٧٨، ١٨٨.

فأنـــا لا أشك في ذلك الدقيق، كما تشكون أنتم في هَذَا الجليل؛ فمالي أدفعه عَن حقه؟ وأما قولكم: أجالس الدون من الناس فلأن أجالس من يرى إِلَى أحب إلي من أن أجالس من لا أرى له، وأما قولكم: ألبس الدون من الثياب فلأن ألبس ثوباً يقيني أحب إلي من أن ألبس ثوباً أقيه بنفسي.

فولي القضاء، وهو كاره

قيل لإياس بْن معاوية يا أبا وائلة اختر لنا قاضياً نوليه القضاء؛ قال: ما أتقلد ذلك، فقيل له: لو وجدت رجلاً ترضاه أكنت تشير علينا به؟ قال: نعم؛ قيل له: أترى أن تلي القضاء؛ قال: نعم، فقيل له أنك حليف رضا فولي القضاء، وهو كاره.

كان ينبغي لكم أن تعلموا أنه أفضل مني

عَن مغيرة قال: ولي عدي إياساً قضاء البصرة، فأبى وقال: بكير المري خير مني فأمر بكيراً بذلك؛ فقال: إياس خير مني؛ قالوا: إنه قد قال: إنك خير منه؛ فقال: لو لم تعلموا من فضله إلا تفضيله إياي عليه كان ينبغي لكم أن تعلموا أنه أفضل مني (١).

فعاقبه بقدر ذنبه ثم خل سبيله

عَن مُحَمَّد بْن عَمْرو؛ قَالَ: حَدَّثَنَا إياس بْن معاوية؛ قال: كنت قاضياً لأهل البصرة في زمن عُمَر بْن عَبْد العزيز، فأتيت بجارية، كان على صدرها صبي في عنقه طوق، فجاء إنسان فأخذ الطوق من عنق الصبي، ثم جذبه إليه فصاحت الجارية فأخذ، فكتبت فِيْهِ إِلَى عُمَر فكتب إِلَى عُمَر: إن هذه عارية الظهر فعاقبه بقدر ذنبه ثم خل سبيله.

(١) أخبار القضاة، ١ /٣١٨.

إِذَا كان الأصل مضموناً، فالفرع مضمون

عَن ابن شُبْرُمَةَ؛ قال: سألني إياس بْن معاوية عَن رجل أقر لرجل بوديعة ثم قال: قد دفعتها إليك فقلت: إِذَا كان الأصل مضموناً، فالفرع مضمون؛ قال: أحسنت أو أصبت.

أما هذه فترد

عَن سلام بياع الرقيق؛ قال: اشتريت جارية فوجدتها حمقاء، فخاصمت فيها إِلَى إياس بْن معاوية، وهو على قضاء البصرة؛ فقال: ما علمت أنه يرد من حمق؛ فقلت: إنه حمق أشد من جنون، فدعاها، فقال: أي رجليك أطول؟ فمدت اليسرى، فقالت: هذه؛ فقال: أتذكرين ليلة ولدت؛ فقالت: نعم؛ قال: فردها، أما هذه فترد.

ما تقول فِيْهِ؟

قال إبراهيم بْن مرزوق البصري: كنا عند إياس بْن معاوية قبل أن يستقضي، وكنا نكتب عنه الفراسة، كما نكتب عَن صاحب الحديث، إِذَا جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد فجعل يترصد الطريق فبينا هو كذلك إذ نزل، فاستقبل رجلاً فنظر في وجهه ثم رجع إِلَى موضعه، قال: فَقَالَ: إياس بْن معاوية: قولوا في هَذَا الرجل؛ قالوا: ما تقول فِيْهِ؟ رجل طالب حاجة، قال: معلم صبيان، قد أبق له غلام أعور، فإن أردتم أن تستفهموه، فقوموا فسلوه، فقام إليه بعضنا فسأله؛ فقال: كان لي غلام نساج، وقد زاغ منذ اليوم، فقالوا صف لنا غلامك، وصف لنا موضعك فقال: أما أنا فأعلم الصبيان بالكلأ، وأما غلامي فغلام من صفته كذا وكذا إحدى عينيه ذاهبة، فرجعنا إليه فقلنا: هو كما قلت، ولكن كيف علمت أنه معلم؟ قال: رأيته جاء فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه، فقلت: إنه

يطلب عادته في الجلوس، فنظر إِلَى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر المملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم؛ فقلنا له: كيف علمت أنه أبق له غلام أعور؛ قَالَ: رأيته يترصد الطريق والمارة فبينما هو كذلك إِذ نزل، فاستقبل رجلاً مقبلاً، فعلمت أنه شبهه بغلامه فنظر في وجهه، فلو كان غلامه أعمى لعرفه في ترجحه في مشيته، فعلمت أنه نظر في وجهه إِلَى عينه، فعلمت أن غلامه أعور قد ذهبت إحدى عينيه.

وكيف علمت؟

قَالَ إياس بْن معاوية: إني لأعلم يوم ولدت، قيل له: وكيف علمت؟ قال: خرجت من ظلمة فلم ألبث إلا يسيراً، حتى عدت إِلَى ظلمة، فذكرت ذلك لأمي، فقالت: يا بني إني لما ولدتك أردت أن أقوم لحاجة فاكفأت عليك الجفنة مخافة أن يأكلك الذئب؛ قال: كانوا في البرية.

لو كان احتلم لقطعته

عَن مطر بْن حمران؛ قال: شهدت إياساً وجيء بغلام قد سرق أكسية الجمالين، فقامت عليه بينة؛ فقال: اكشفوا عنه فكشفوا، فلم يكن احتلم، فقال: لو كان احتلم لقطعته، اذهبوا به حَيْثُ سرق، فسودوا وجهه، وعلقوا في عنقه العظام، واضربوه حتى يدمي ظهره، وطوفوا به، فجاء رجل يسعى؛ فقال: أصلحك الله أنه مملوك لي، فإن فعلت ذاك به كسرت ثمنه؛ فَقَالَ: إياس: يعمد أحدكم إِلَى الغلام لم يحتلم، فيكلفه الضريبة، ولا يحسن عملاً يعمله، فإنما يأمره أن يسرق ويطعمه، ويعمد أحدكم إِلَى الجارية، فيقول لها: اذهبي فأدي الضريبة

فإنما يقول لها: اذهبي، فازني وأطعميني.

فلما رأى ذلك جوز البيع

عَن أيوب؛ أن امرأة باعت لزوجها داراً، وهو غائب، فلما قدم أبي أن يجيز البيعة، فخاصمته فيها إِلَى إياس بْن معاوية، فجعل المشتري يقول: أصلحك الله أنفقت فيها ألفي درهم؛ فقال: ألفاك علي فقضى للرجل بداره، وأمر بامرأته إِلَى السجن، فلما رأى ذلك جوز البيع [1].

لا بل يحلف بالله مالك عنده وديعة ولا غيرها

عَن إياس بْن معاوية، أنه تخاصم إليه رجلان استودع أحدهما وديعة، فَقَالَ: صاحب الوديعة: استحلفه بالله ما استودعته كذا وكذا، فَقَالَ: إياس: لا بل يحلف بالله مالك عنده وديعة ولا غيرها.

أليس أنت تقطعه؟

سأل يزيد الخياط إياس بْن معاوية؛ قال: استأجر طيلساناً بدرهمين، ثم أقطعه، ثم أؤاجره بواف فقال: أليس أنت تقطعه؟ قلت: بلى، قَالَ: لا بأس.

ويحاً له ما أفهمه!

قال عرعرة بْن البرند: كنت عند إياس بْن معاوية إِذ أتته امرأتان تختصمان في كبة [2] غزل، ليس معهما بينة، فبعد واحدة، وقرب الأخرى، فَقَالَ لَهَا: على أي شيء كببت غزلك؟ قالت: على كسرة

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٢٢ - ٣٣١.
(٢) كُبَّةُ الغَزْل: ما جُمعَ منه، مشتَقٌّ من ذالك. وفي الصَّحاح: الكُبَّةُ: (الجَرَوْهَقُ من الغَزْلِ).

خبز؛ فنحاها، وقرب الأخرى فقال: على أي شيء كببت غزلك؟ قالت: على خرقة، فأمر بالكبة فنقضت فإذا هي على كسرة خبز؛ قال: فأتيت مُحَمَّد بْن سيرين فأخبرته، فقال: ويحاً له ما أفهمه، ويحاً له ما أفهمه! [1].

ما أحسن ما سللت عمك منها

قال أَبُو عَبْد اللهِ بْن الأعرابي: تقدم الفرزدق إِلَى إياس بْن معاوية ليشهد هو وأخر، فَقَالَ: إياس: أما أَبُو فراس فقد عرفناه، ولكن زدنا شهوداً فَقَالَ: الفرزدق: ما أحسن ما سللت عمك منها.

اقض بالأثر ولا تقض بالرأي

عَن ابن المبارك، قال: جاء رجل إِلَى مُحَمَّد بْن سيرين؛ فقال: إني رأيت في النوم كأن إياس بْن معاوية يضرب باليمين في الحر فقال: إيت إياساً فقل له: اقض بالأثر ولا تقض بالرأي [2].

ما صنعتك؟

عَن حبيب بْن الشهيد، أن إياس بْن معاوية واعده إِلَى دار خالد بْن زيد، فوافيته، فقام إليه شيخ، فقال: أصلح الله القاضي، إن هَذَا ابني وليس ينفق علي؛ فقال: ما صنعتك؟ فقال: حائك، فحكم عليه بخمسة دراهم.

أنت شيخ قد خرفت

أَخْبَرَ حميد الطويل؛ أن معاوية بْن قرة أخذ جارية لابنه إياس؛ فَقَالَ لَهُ إياس: تأخذ جاريتي؟ فحكما الْحَسَن؛ فَقَالَ: الْحَسَن لمعاوية:

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٣٣.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٣٥.

خذها؛ أنت ومالك لأبيك؛ فَقَالَ: إياس للحسن: أنت شيخ قد خرفت؛ يأخذ جاريتي؟

وإن صاحبك ليس ممن يرضى من الشهداء.

عَن أشعث؛ قال: وجاء رجل إِلَى الْحَسَن؛ فقال: يا أبا سعيد؛ إن إياساً رد شهادتي، فانطلق الْحَسَن معه، فلقي إياساً؛ فقال: ما حملك على أن رددت شهادة هَذَا؟ أما بلغك أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قال: من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ذمة الله، وذمة رسوله، فَقَالَ لَهُ الآخر: أيها الشيخ إن الله يقول:{مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ } [البقرة: ٢٨٢]، وإن صاحبك ليس ممن يرضى من الشهداء[1].

أختي لأبي وأمي تزعم إنها أحق بميراث أبي مني؟

قال حصين بْن كرار المالكي: كنت عند إياس بْن معاوية فجاءت امرأتان؛ فقالت إحداهما: ألا تعجبون؟ أختي لأبي وأمي تزعم إنها أحق بميراث أبي مني؟ قَالَ: إياس: ما أراها إلا صادقة؛ فقالت الأخرى: إني اشتريت أبي وأعتقته، فَقَالَ: إياس: الثلثان بينكما بالميراث، ولهذه الثلث بالولاء، فأتيت الْحَسَن فأخبرته؛ فقال: لا، حق الوالد أعظم من أن يكون ولاء، فأتيت إياساً فأخبرته بقول الْحَسَن، فقال: إِذَا جاء الْحَسَن فقل له: يلزم سارية من السواري، فنحن أعلم بالحكم منك.

إيتوني بمشط

عَن إبراهيم بْن مرزوق؛ قال: جاء رجلان إِلَى إياس بْن معاوية يختصمان في قطيفتين، وهو قاض، إحداهما حمراء، والأخرى خضراء؛ فَقَالَ: أحدهما:

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٣٨.

دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتي، وجاء هَذَا، فوضع قطيفته بجنب قطيفتي، ثم دخل فاغتسل فخرج قبل، فأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجت فاتبعته فزعم، أنها قطيفته فقال: لك بينة؟ فقال: لا فقال: إيتوني بمشط فأتى بمشط فسرح رأس هَذَا، ورأس هَذَا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر، وخرج من رأس الآخر صوف أخضر، فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه صوف أحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه صوف أخضر.

فمسح ببلل الماء

عَن حبيب بْن الشهيد؛ قال: توضأ إياس فرأى على عقبه مكاناً لم يصبه الماء، فقيل له يا أبا واثلة: عقبك لم يصبه الماء، فوضع عقبه بين إصبعيه الإبهام والتي تليها فمسح ببلل الماء.

لو علمت لعلوته بالقضيب

وذكر حماد بْن إسحاق، عَن أبيه؛ قال: أتى وكيع بْن أبي سود، إياساً ليشهد؛ فَقَالَ لَهُ: ما حاجتك؟ قال: جئت لأشهد، قال: مالك وللشهادة؟ إنما يشهد الموالي والتجار والسفلة؛ قال: صدقت، وانصرف فقالوا لوكيع: خدعك؛ إنه لا يقبل شهادتك، وردك؛ قال: لو علمت لعلوته بالقضيب [1].

اذهب بنا فقد رضيت

عَن سُفْيَان بْن حسين؛ قال: أردت التعريف [2] بواسط يوم عرفة، فقلت: أمر بإياس بْن معاوية؛ فأتيته، فخرج معي إِلَى المسجد، فلما

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٤١.

(٢) التعريف هو التشُّبه بأهل عرفة في غيرها من المواضع وهو أن يَخرُجوا إلى الصحراء المساجد فيدعُوا ويتضرَّعوا وأولُ مَنْ فعل ذلك بالبصْرة ابن عباس رضي الله عنهما. وقوله: " ليس عليه أن يُعرّفَ بالهدْي " أي أن يَأتيَ به إلى عرفاتِ.

دخل المسجد قَالَ لي: إن أمي خرجت وهي على غضبي، وأنا أكره أن أصير إِلَى التعريف والدعاء، وهي غضبى، فقم لي حتى أسترضيها، فدنا من ظلة أنسنا، وخرجت إليه أمه، فجلس بين يديها، واضعاً يديه على خديه، منكساً رأسه طويلاً، ثم قام فَقَالَ لي: اذهب بنا فقد رضيت [١].

ما يبكيك؟

عَن حماد؛ قال: لما ماتت أم إياس بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: كان لي بابان؛ فأغلق أحدهما [٢].

يا أبا واثلة ما تقول في المسكر؟

عَن إياس بْن معاوية؛ قال: إسماعيل، عَن عمه إياس؛ قال: شهدت دهقاناً أتاه، فقال: يا أبا واثلة ما تقول في المسكر؟ قال: حرام؛ قال: وما حرمه؟ وإنما هو تمر، وماء، وكشوت؛ قال: فرغت يا دهقان؟ قال: نعم؛ قال: أرأيت لو أخذت كفاً من ماء فضربتك به، كان يوجعك؟ قال: لا قال: أفرأيت لو أخذت كفاً من تراب فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا؛ قال: فأخذت كف تبن فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا؛ قال: فأخذت التراب، ثم طرحت عليه التبن، وصببت عليه الماء، ثم كمزته كمزاً، وجعلته في الشمس، ثم ضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: نعم، ويقتلني؛ قال: فكذاك هَذَا؛ حين جمعت أخلاطه وخمر حرم [٣].

احفظوا عني خصالاً ثلاثاً تنتفعون في تجارتكم

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٤٤.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٤٤.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٤٩.

قال صالح بْن سليمان: خرج قوم من أهل واسط من التجار إِلَى عَبْدِسي؛ فقالوا: نأتي إياس بْن معاوية، فنسلم عليه، فأتوه؛ فَقَالَ لَهُم: يا معاشر التجار احفظوا عني خصالاً ثلاثاً تنتفعون في تجارتكم؛ لا يشتري الرجل بأكثر من ماله، فإن كانت وضيعة أتت على رأس ماله كله، ولا يشارك إلا شريكاً واحد؛ فإن أكثر، فاثنين؛ فإن الشركاء إِذَا كثروا تواكلوا، ولا يشتري من رجل له بضاعة ليس له غيرها، فإن التوى أمر أو أصابته نكبة لم يعذره، وألح عليه وحرق به؛ اشتروا من أهل السعة واليسار، فإنهم يؤخرون ويحتملون.

لوجدت بينهما شيئاً بيناً

قَالَ الخليل بْن أَحْمَد: قَالَ: إياس بْن معاوية: لو أخذت عوداً فقسته بعود حتى يصير ليس بينهما شي، ثم قست الثاني إِلَى ثالث، والثالث إِلَى رابع، إِلَى العاشر، ثم قست العاشر إِلَى الأول لوجدت بينهما شيئاً بيناً.

في ثلاث لا أصلح معهن لولاية

إياس بْن معاوية؛ قال: أرسل إلي ابن هبيرة، فساكتني، وساكته، حتى فهمت، ثم أعادني من القابلة، ففعل مثلاً؛ ثم قال: إيه؛ قلت: سل عما شئت؛ قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم؛ قال: أتعرف من الشعر شيئاً: قلت: نعم؛ قال: هَلْ تعلم من أيام العجم شيئاً؟ قلت أنا بذاك أعلم؛ قال: إني أريد أن أستعين بك؛ قال: قلت: في ثلاث لا أصلح معهن لولاية، أنا دميم، وأنا عي، وأنا سيئ الخلق، قال: أما دميم فإني لا أحاسن بك الناس، وأما عي فإنك تعبر عَن نفسك، وأما سيئ الخلق فالسوط يقومك، وأمر لي بألفي درهم، فهو أول مال تأثلته.

أترد جائزة الأمير؟

قال عون: لما بعث إِلَى ابن سيرين، والْحَسَن وأولئك قدموا على ابن هبيرة قال: فَقَالَ: مُحَمَّد لما دخل عليه، السلام عليكم، وكان ابن هبيرة متكئاً فجلس، وكان معه أَبُو الزناد، فَقَالَ لَهُ كيف من تركت؟ قال: تركت الظلم فيهم فاشياً، فهم به، فجعل أَبُو الزناد يقول له: إنه شيخ، إنه، إنه، قال: فجاء لإياس بْن معاوية بجائزة، فَقَالَ: لا حاجة لي فيها؛ فقال: أترد جائزة الأمير؟ قال: ولم يعطيني؟ أيتصدق علي؟ فقد أغناني الله، أو يعطيني على علمي أجراً، فلا آخذ عليه أجراً؛ قَالَ: الأنصاري وكانت جائزته عشرة آلاف.

أرجو أن يكون قصاصاً

عَن حفص بْن عُمَر بْن حفص بْن عَبْد اللهِ بْن الحارث بْن هشام، قال: كنت غائباً عَن واسط أيام يوسف بْن عُمَر؛ فقدمت فَقَالَ لي: إني أتيت إياس بْن معاوية؛ قلت: وما له؟ قَالَ: ضربه الأمير يوسف؛ أراده على أن يتولى له السوق؛ فأبى فضربه، فأتيته، فوجدت عنده جماعة، جماعة، فَقَالَ: إلي إلي يا أبا عُمَر ها هنا، فأجلسني إِلَى جنبه، ثم قال: لقد ضربني الأمير ستة وخمسين سوطاً، فنظرت في ضربي مملوكي فإذا هو ينقص على ضرب يوسف إياي سوطين؛ فقلت: أرجو أن يكون قصاصاً وأن يكون لي فوات السوطين، ثم اقتص ضربه مملوكيه لما ضربهم عليه، فحفظت قصة غلام منهم؛ قال: جئت في يوم بارد فوضعت قلنسوتي، وعمامتي عَن رأسي، ودعوت بالوضوء، فجاء بماء بارد؛ فَقَالَ: بالفارسية: أصب على رأسك؟ فقلت متعجباً منه: نعم، فصب على رأسي ماءاً بارداً في يوم بارد، فضربته سوطين.

ما المروءة؟

قال سُفْيَان بْن الحسين: قلت لإياس بْن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك وحَيْثُ تعرف فالتقوى، وأما حَيْثُ لا تعرف فاللباس [1].

قَالَ الحجاج لإياس بْن معاوية: يا أبا إياس من أحب الناس إليك؟قال: الذي يعطيني؛ قال: ثم من؟ قَالَ: الذي ينفق عليه.

إنما تنفق بقدر ما يدخل عليك

و قَالَ: صالح بْن سليمان: اشتكى أبان بْن الوليد البجلي إِلَى إياس كثرة نفقته؛ فَقَالَ لَهُ إياس: أرأيت بيتاً له بابان، وبيتاً له باب، أيهما يدخل إليه الريح أكثر؟ قال: البيت الذي له بابان؛ قال: فكذلك أنت إنما تنفق بقدر ما يدخل عليك.

هَلْ يدخل الريح البيت؟

دخل رجل على إياس بْن معاوية فشكا إليه شدة المئونة، وكثرة الإنفاق؛ فَقَالَ لَهُ إياس: إن النفقة داعية الرزق، وهو جالس بين بابين؛ فَقَالَ: للرجل: أغلق هَذَا الباب، فأغلقه، فقال: هَلْ يدخل الريح البيت؟ قال: لا؛ قال: فافتحه، ففتحه، فجعلت الريح تخرق البيت؛ فقال: هكذا الرزق، أغلقت فلم يدخل الريح، وكذلك إِذَا أمسكت لم يأتك شيء [2].

يا بني وما أصنع بمال يأكل المال

عَن سعيد بْن هارون؛ قال: قلت لإياس بْن معاوية: يا أبا واثلة مالك لا تشتري دابة؟ أراك تستعير من الناس؛ قال: يا بني وما أصنع

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٣.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٥٤.

بمال يأكل المال [1].

قالوا: وكيف؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن بكر السهمي؛ أن إياس بْن معاوية كان في حلقة وذكروا: الولد أبر أم الوالد؟ فأجمع رأيهم على أن الولد أبر، واشتغل إياس في شيء، فلما فرغ أقبل عليهم، فأخبروه، فقال: إني أخالفكم، إني أزعم أنهما إِذَا كانا برين جميعاً فالولد أبر؛ قالوا: وكيف؟ قَالَ: لأن بر الوالد لولده طباع يطبعه الله عليه، لا يستطيع إلا ذاك وبر الولد لوالده تشدد منه لما افترض الله عليه من حقه.

إن الثناء من الجزاء

عَن العوام بْن حوشب قال: التقيت أنا وإياس بْن معاوية بذات عرق، فذكرت إبراهيم، يعني التيمي؛ فقال: لولا كرامته علي لأثنيت عليه؛ فقلت: أتعرفه؟ قال: نعم؛ قلت: فلم تكره أن تثني عليه؛ قال: إنه كان يُقَالُ: إن الثناء من الجزاء.

أنت أفلس مني

وبلغني أن إياساً كان على سوق واسط، وكلمه أبان بْن الوليد في درهم يحطه عَن رجل من كراء حانوته، فقال: أنظر إليه، فإن كان يمكنني أن أحط عنه حططت، فنظر إِلَى الحانوت فرآه في باب البصرة؛ فقال: هَذَا في ديباجة الحرم، ليس إِلَى الحط منه سبيل، ثم كلم إياس في كلام أبان بن الوليد في حط مائة ألف من خراج رجل؛ فقال: رددت رجلاً في درهم فأكلمه في مائة ألف؟ ثم اعتزم فكلمه، فَقَالَ لَهُ أبان: إني والله ما أعجب منك، ولكني أعجب ممن تجرمك، رددتني عَن درهم؛ ويكلمني في مائة ألف؛ فَقَالَ لَهُ إياس: فلا تعجب

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٦.

من ذاك، فإني كنت راداً عَن الدرهم من هو فوقك، وكنت مشفعاً في المائة ألف ممن هو دوني، ثم جرى الكلام بينهما، حتى قَالَ: له أبان: يا مفلس؛ قال: أنت أفلس مني، قال: وكيف؟ وأنا استغل كذا؟ قال: نعم نفقتك أكثر من غلتك، وغلتي أكثر من نفقتي [1].

أجلاني أنت؟

و قَالَ: مُحَمَّد بْن سلام، عَن سلمة بْن محارب، قَالَ: تقدم إِلَى إياس رجل من عنزة أعمش تخاصمه امرأة كالقلعة، ومعهم نفر فيهم فتى شاب له منظر ورواء، فأقبلت المرأة تكلم الناس بلسان سليط؛ فَقَالَ لَهَا إياس: أجملي في منازعة بعلك؛ فقالت: لو كان لذلك أهلاً فعلت، ولكنه هلباجة [2] نئوم، [3] لكل معروف عدوم؛ فَقَالَ: بعلها: أما إِذَا أبيت، فوالله لا أكتمك خبرها، وأنشده.

نبت عينها عيني وراق فؤادها ::: فتى من بني دحلان رخو المكاسر
فتى لو أجاريه إِلَى المجد فتّه ::: وقصّر عَن إدراك حرّ المآثر
رأته جميلاً ذا رواء فأذعنت ::: إليه ورامتني بإحدى القناطر
ودون الذي رامت من الموت عارض ::: على رأسها حمّ كثير الزماجر

فرفع إياس رأسه، فنظر في وجوه القوم؛ فَقَالَ: للفتى: ما اسمك؟ قَالَ: روق بْن عَمْرو؛ قَالَ: أجلاني أنت؟ قال: نعم؛ قال: ادن فدنا منه، فأخذ أذنه، وقال: والله لئن بلغني أنك دخلت بينهما لأطيلن حبسك؛ فَقَالَ: البعل له: أما إِذَا أظهرت ما كنت أخفي، فهي طالق ثلاثاً؛ فَقَالَ لَهُ إياس إنك لكريم؛ فَقَالَ: للمرأة

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٧.
(٢) الهِلْباجُ والهِلْباجةُ والهُلَبِجُ والهُلابِجُ الأحمق الذي لا أحمق منه وقيل هو الوَخِمُ الأحمق المائِقُ القليل النفع الأَكُولُ الشَّرُوب زاد الأزهري الثقيل من الناس.
(٣) نَئُومٌ وهو الكثير النوم.

انهضي فغير فقيدة ولا حميدة، قبحك الله، وما تاقت إليه نفسك [1].

أخبرت أنك كنت لا تجيز شهادة الأشراف بالعراق

عَن مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن القرشي؛ قال: قلت لإياس بْن معاوية؛ أخبرت أنك كنت لا تجيز شهادة الأشراف بالعراق، ولا التجار، ولا الذين يركبون البحر؛ فقال: أجل أما الذين يركبون البحر، فإنهم يركبون إِلَى الهند حتى يغرر بدينهم، ويمكنوا عدوهم منهم، من أجل طمع الدنيا، فعرفت أن هؤلاء إن أعطي أحدهم درهمين في شهادتهم لم يتحرج بعد تغريره بدينه، وأما الذين يتجرون في قرى فارس فإن المجوس يطعمونهم الربا، وهم يعلمون؛ فأبيت أجيز شهاتهم لأجل الربا؛ وأما الأشراف فإن الشريف بالعراق إِذَا نابت أحداً منهم نائبة أتى سيد قومه، شهد له وشفع.

ما أنت منه؟

قال العلاء، صاحب البصري، أن إياس بْن معاوية جاءته امرأة بصرية فقالت: فلان مولاك مات وترك صرة؛ قال: ما أنت منه؟ قالت: خالته، قال: خذيها فكليها، {وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} [الأنفال:٧٥].

عرفت ذاك باختلاف الشعرتين.

ورأى إياس بْن معاوية بعض شهوده؛ فقال: حلقت نصف لحيتك؟ قال: نعم؛ أصابني داء، فحلقتها له؛ فقال: عرفت ذاك باختلاف الشعرتين.

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٨.

يمتحن بها الرمان

ورأى رجلاً؛ فقال: هَذَا يبيع الرمان؛ فقيل: من أين علمت؟ قال: رأيت ظفر إبهامه أطول من سائره، ورأسها أخضر، فعلمت أنه يمتحن بها الرمان.

ورأى معلفاً؛ فقال: معلف بعير أعور؛ قالوا: بم علمت؟ فقال: رأيت اعتماده في إحدى جنبيه [1].

هذه حامل بغلام

ومر إياس تحت ساباط للمغيرة بْن المخادش، فسمع صوت امرأة؛ فقال: هذه حامل بغلام؛ قالوا: كيف علمت؟ قال: سمعت صوتاً مجلجلاً صافياً، وهذه علامة حمل الغلام.وكان إياس يقول: شرقي كل بلد أكثر أهلاً من غربيه، ومن قرب من النهر كان أقل آنية ممن بعد من النهر.

سماهم فأخذوها

وقال: طلب خالد بْن عَبْد اللهِ القمري أموال ابن هبيرة، وقيل له: إن له ودائع عند قوم، فلم يجدوا له شيئاً، ولا أحداً يدلهم على ودائعه، فأخذوا مولاة له، فسألوها فلم يكن عندها علم، ورأوا زنفيلجة [2] في بيتها، فأخذوها فوجدوا فيها شراكاً، فِيْهِ أثار كتاب، فدعا إياس بقصب فجعل يدرج الشراك عليها حتى أدرجه على القصب، فنبش الكتاب، فإذا فِيْهِ ذكر أموال ابن هبيرة، وودائعه، عند أقوام سماهم فأخذوها [1].

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦١.
(٢) زِنْفِيلَجة وعاء يحمل فيها الأدوات وهو مثل الكِنْف.
(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٢.

فإذا تحتها حية مطوقة

كان خالد بْن عَبْد اللهِ يستثقل إياس بن معاوية، ويمقت إذكانه، فلما بنى قصره الذي أسفل واسط، على دجلة؛ خرج إليه ومعه الناس، وقد فرغ منه وفرش صحنه بالآجر، فرأى في الفرش آجرة ناتئة عَن الفرش، وعليها شبه الدسم؛ فقال: لو كان إياس حاضراً لقَالَ: في هذه الآجرة؛ قالوا: فإنه حاضر؛ قال: فعلي به؛ فجاء؛ فَقَالَ لَهُ: ما بال هذه الآجرة هكذا؟ قال: ينبغي أن يكون تحتها حية؛ قال: وكيف؟ قال: لأنه لم يكن يعمل لك مثل هذه، وهَذَا حادث فيها، وليس في الهوام ما يكون تحتها فيرفعها أقوى من الحية، وهَذَا الدسم نفخها، فدعا خالد بفأس وأعجلهم به، ورجا أن لا يكون كما قَالَ: وفقلعها؛ فإذا تحتها حية مطوقة.

إنه ولد بهذه ونشأ بهذه

عَن الحارث بْن مرة الحنفي؛ قال: تقدم إِلَى إياس بْن معاوية رجلان، وهو على القضاء، وكان معهما غلام؛ فَقَالَ لَهُ: إني أتأمل هَذَا الغلام منذ قعدتما؛ فأقول أحياناً: إنه من أهل الأهواز، وأحياناً أقول: من أهل إصطخر؛ فقال: إنه ولد بهذه ونشأ بهذه.

فهو لم يرض بالقضاء إِلَّا وهو عاقل

قَالَ: الحارث بْن مرة الحنفي؛ قَالَ: إياس بْن معاوية: مررت بالكلأ؛ فرأيت رجلين يتنازعان؛ فَقَالَ: أحدهما لصاحبه: أترضي بصاحب الحمار؟ فَقَالَ: أحدهم: اشتريت من هَذَا زواً من جذوع فلما انتقيت منها الذي رأيت تغيرت الجذوع علي؛ فقلت لصاحبه: وهو كما قَالَ: ؟ قال: نعم؛ قلت: فهو فيما لم ير بالخيار؛ فَقَالَ لي: بالفارسية: اذهب إِلَى عملك، ثم وليت القضاء بعد أيام، فكان هو

وصاحبه أول من تقدم إلي فجعل صاحبه يقص قصته، وجعل صاحبه يتأملني؛ فَقَالَ: لصاحبه: أما إِذَا كان هَذَا فقد عرفت قضاءه، قم بنا؛قَالَ: إياس: فهو لم يرض بالقضاء إلا وهو عاقل [1].

أَخْبَرَنِي عنك أقاض أنت أم عراف؟

أَخْبَرَ حماد بْن إسحاق، عَن أبيه؛ قال: أتاه دهقان ينازع، فتكلم؛ فَقَالَ: إياس: اسكت أخبرك ما تريد أن تقول؛ فسكت؛ فَقَالَ: إياس: تريد أن تقول: كذا وكذا؛ فَقَالَ: الدهقان: لا تتكلم، وبدا الدهقان؛ فتكلم؛ فَقَالَ: إياس: أخبرك ما تريد أن تقول؛ تريد أن تقول: كذا وكذا، فلما كانت الثالثة قَالَ: له الدهقان بالفارسية: أَخْبَرَنِي عنك أقاض أنت أم عراف؟

ينبغي أن يكون هَذَا هرماً

قال: مر إياس بديك ينقر الحب، ولا يقرقر، فَقَالَ: ينبغي أن يكون هَذَا هرماً؛ فإن الهرم إِذَا ألقى له الحب لم يقرقر ليجتمع إليه الدجاج، والشاب إِذَا ألقى إليه الحب قرقر، واجتمعت إليه الدجاج.

ورأيته نشيطاً مرحاً

قال: ونظر إياس يوماً إِلَى رجل متأبط شيئاً، فقال: معه سكر، وقد ولد له غلام، فاتبعه رجل، فسأله، فوجده كما قال؛ قيل له: ومن أين علمت؟ قال: رأيت الذباب قد أطاف به، فقلت معه سكر، ورأيته نشيطاً مرحاً، فقلت ولد له غلام.

رأيته خفيفاً على يديها

قال: ورأى جارية في المسجد على يديها طبق مغطى بمنديل؛

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٤.

فقال: في طبقها جراد، فكان كما قيل؛ فسئل فقال: رأيته خفيفاً على يديها.

صاحبكم حي

ونظر إِلَى جنازة رجل؛ فقال: صاحبكم حي فوضعوا الجنازة فعض الرجل؛ فإذا هو حي، فردوه، فسئل عَن ذلك فقال: رأيت أصابع قدميه منتصبة والميت لا تنتصب أصابع قدميه [١].

رأيته ينظر حوله

قال: واستقبل إياس رجلاً بواسط؛ فقال: خذوه فإنه لص سرق، الساعة يأتيكم من يطلبه، فأخذ فلم يجاوز حتى جاء قوم يطلبونه، فأخذوه فسئل عَن ذاك، فقال: رأيته ينظر حوله.

رأيته يحرك رأسه كما يفعل الخياط

نظر إياس بْن معاوية إِلَى رجل في المسجد الجامع؛ فقال: ينبغي أن يكون خياطاً، وهو يخيط القلانس، فكان كما قال، فقيل له: كيف عرفت؟ قَالَ: رأيته يحرك رأسه كما يفعل الخياط، ورأيته ينظر إِلَى رؤوس الرجال [٢].

فكيف علمت أنه ابنه؟

و شكا رجل إِلَى قوم؛ فقال: إني كنت ببلد بعيد، فتركت به حملاً، فولد لي غلام، وصاررجلاً، وبلغني أنه قد قدم وليس يعرفني، ولا أعرفه، فلست أدري كيف أطلبه، فقالوا له: إن كان لك عند أحد فرج، فعند إياس بْن معاوية، فأتاه فأخبره قصته؛ فَقَالَ لَهُ: الزمنا ههنا، فلزمه أياماً فقعد في حلقته في المسجد الجامع بالبصرة، فلما كان

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٥.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٦٦.

ذات يوم التفت إياس، فقال: الرجل ههنا؟ قيل: نعم؛ قال: قم إِلَى هَذَا الذي دخل من باب المسجد، فإنه ابنك، فقام فالتقيا في بعض المسجد، فتواقفا يتساءلان، ثم اعتنقا، وأقبلا إِلَى الحلقة فجلسا؛ فَقَالَ: إياس: هو ابنك؟ فقال: نعم؛ فَقَالَ: القوم: يا أبا واثلة: إنا لنتأمله فلا نرى فِيْهِ شبهه؛ قال: أجل ما أبعد شبهه، قالوا: فكيف علمت أنه ابنه؟ قَالَ: هو أشبه الناس به طلعة حين طلع ظننته هو حتى رأيته في الحلقة، فعلمت أنه شبهه بطلعته.

جئتكم والله من عند أعجب الناس

عَن خلاد بْن يزيد، وغيره، أن إياس بْن معاوية أتى المدينة فصلى في مسجد النبي ﷺ، ثم لبث في مقعده، فنظر إليه أهل الحلقة، فزكنوه حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه مصلم، [1]وفرقة تزعم أنه قاض، فوجهوا إليه رجلاً، فجلس إليه يحادثه شيئاً، ثم أخبره خبر القوم، وما صاروا إليه من الظن به؛ فَقَالَ: قد أصاب الذين ذكروا أنني قاض، ورويداً أخبرك عَن القوم، أما الذي من صفته كذا فهو كذا، وأما الذي يليه فهو كذا، فلم يخطئ في واحد منهم إلا شيخ فإن قال: وأما ذلك الشيخ فإنه نجار، قالوا: فَقَالَ لَهُ الرجل: في كلهم والله أصبت إِلا في هَذَا الشيخ، فإنه شيخ من قريش؛ فَقَالَ: إياس: وإن كان من قريش فإنه نجار، فقام الرجل إِلَى أصحابه فقال: جئتكم والله من عند أعجب الناس، لا والله إن منكم واحد إِلا أَخْبَرَنِي عَن صناعته، فأصاب، إِلا فيك يا أبا فلان فإنه زعم أنك نجار، فأخبرته أنك من قريش، فقال: وإن كان من قريش فإنه نجار؛ قال: صدق والله أني أعمل عند أرجوازي [1].

(١) مُصَلَّم وأَصْلَمُ مقطوعُ الأُذن ورجل أَصْلَمُ إذا كان مُسْتَأْصَل الأُذنين ورجل مُصَلَّم الأُذنين إذا اقْتُطِعَتا من أُصولهما.

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٨.

ومن أين علمت يا أبا واثلة أنه ابنه؟

قال: وحَدَّثَ خلاد بْن يزيد؛ قال: كان لإياس صديق قد وطئ أمة له، فخرج في بعض حوائجه، فولدت غلاماً فشك فِيْهِ الرجل، فلم يدعه ولم ينكره، وكان على باب الرجل كتاب، وكان الغلام يختلف إِلَى ذلك الكتاب، فجاء إياس يريد صديقه ذلك، فتصفح وجوه الغلمان، ثم أقبل على ذلك الغلام، فَقَالَ لَهُ: يا ابن فلان قم إِلَى أبيك فأعلمه أني بالباب؛ فَقَالَ: معلم الكتاب لإياس: ومن أين علمت يا أبا واثلة أنه ابنه؟ فقال: شبهه فيه؛ فقام المعلم إِلَى الرجل، فأخبره خبر إياس والرجل، فخرج الرجل بنفسه فرحاً بما أخبره المعلم؛ فقال: يا أبا واثلة أحق ما قَالَ لي: المعلم؟ قال: نعم شبهه فيك وشبهك فِيْهِ أبين من ذلك، فادعى الرجل الغلام ونسبه إِلَى نفسه.

قد فقد حماما لنفسه

وذكر الواسطيون أن سُفْيَان بْن حسين قال: كان إياس جالساً، فنظر إِلَى رجل دخل المسجد؛ فقال: هَذَا الرجل من أهل البصرة من ثقيف قد أرسل حماماً له فذهب ولم يرجع إليه، فقام رجل فسأل ذلك الرجل؛ فأخبر عَن نفسه بما قَالَ: إياس، فسئل إياس فقال: أما معرفة البصري، فلا أَحْمَد عليه، وأما قولي ثقفي، فإن لثقيف هيئة لا تخفي، وأما قولي فقد حماما له، فإني رأيته يتصفح الحمام لا يرى ناهضاً، ولا طـــائراً، ولا ساقطاً، إلا نظر إليه، فقلت: قد فقد حماما لنفسه.

وسأله الستر عليه

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مصعب، أن معاوية بْن قرة شهد عند ابنه إياس بْن معاوية مع رجال عدهم على رجل بأربعة ألف درهم، فَقَالَ المشهود

عليه: يا أبا واثلة تثبت في أمري، فوالله ما أشهدتهم إلا بألفين فسأل إياس أباه والشهود؛ أكان في الصحيفة التي شهدوا فيها فضل؟ قالوا: نعم، كان الكتاب في أولها والطينة في وسطها وباقي الصحيفة أبيض؛ قال: أفكان هَذَا المشهود له يلقاكم أحياناً فيذكركم شهادتكم بأربعة ألف؟ قالوا: نعم، كان لا يزال يلقانا فيقول: اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة ألف درهم، فصرفهم، ثم دعا المشهود له، فقال: يا عدو الله تغفلت أقواماً صالحين مغفلين، فأشهدتهم على صحيفة جعلت طينتها في وسطها، وتركت فيها بياضاً في أسفلها، لما ختموا الطينة قطعت الكتاب الذي جعل فِيْهِ ألفان وكتبت في البياض أربعة آلاف فأقر بذلك. وسأله الستر عليه فحكم له بألفين، وستر عليه.

ما أردت غيرهما

و قَالَ: إسحاق بْن سويد العدوي لإياس: أَخْبَرَنِي عَن رجلين؛ قَالَ: إياس: اسكت فإني أعلم ما تريد أن تسألني عنه، قال: قل؛ قال: تريد أن تقول أَخْبَرَنِي عَن رجلين بالمصر مسلمين صالحين خيرين فاضلين، لا يتزاوران ولا يتلاطفان ولا يلتقيان، الْحَسَن وابن سيرين؛ قَالَ: ما أردت غيرهما.

ما تعجبون من الدنيا

وتذاكروا عند إياس الدنيا؛ فقال: ما تعجبون من الدنيا وإنما هي خمس نبات، وخمس حيوان، ثم يعود إِلَى ثلاث، فالحيوان ذو رجلين، وذو أربع، وخرشة، وسمكة، والنبات شجرة ذات ساق، وغير ذات ساق، وبقلة وزرع، وحشيشة، وتعود إِلَى ثلاثة ولاد وبيضة ونبات.

كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع بها

و قَالَ: المدائني: نظر إياس إِلَى ثلاث نسوة فزعن من شيء؛ فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فقام إليهن رجل فسألهن فوجدهن كما قال؛ فقال: من أين علمت؟ فقال: لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع بها المرضع على ثديها، والحامل على بطنها، والبكر أسفل من ذلك.

لا تقربني يا خائن

قَالَ: الموصلي: استودع رجل رجلاً ميراثاً اتأمن مالاً، فجحده فأتى إياساً، فأخبره فَقَالَ لَهُ إياس: أعلم أنك تأتيني؟ قال: لا؛ قال: أفنازعه أحد؟ قال: لا لم يعلم أحد بهَذَا؛ قال: فانصرف ثم اغد إلي بعد يوم أو يومين، ودعا إياس أمينه فقال: قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أودعكه، أفحصين منزلك؟ قَالَ: نعم؛ قال: عد إلي يوم كذا، وأعد موضعاً للمال أو قوماً يحملونه ففعل، فعاد الرجل إِلَى إياس، فَقَالَ لَهُ: انطلق إِلَى صاحبك فاطلب مالك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي، فأتاه فدفع إليه ماله، فرجع إِلَى إياس، فَقَالَ: قد أعطاني المال وجاء الأمين إِلَى إياس لموعده فزجره وأشهره، وقال: لا تقربني يا خائن [1].

قاتلك الله من صبي

قَالَ إياس بْن معاوية: إن أول شيء حكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة، فاجتمع إليه أصحابه؛ فقال: ألا تعجبون من أهل الإسلام أنهم يأكلون في الجنة، ولا يتغوطون، فقلت يا معلم: أليس الدنيا ضرة الآخرة؟ قال: بلى؛ قَالَ: كل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً؛ قال: لا؛ قلت: فأين يذهب قال: يذهب بعضه غذاء، قلت فما تنكر إِذَا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاء أن يكون كله في

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٧١.

الجنة يذهب غذاء؟ قال: فألوى بيده، وقال: قاتلك الله من صبي.

ونام فأصبح ميتاً

عَن حماد، أبيه؛ قال: رأى إياس في المنام أنه لا يدرك الشجر فخرج إِلَى ضيعته بعَبْدسي، فمات سنة اثنين وعشرين ومائة، ومات معاوية بْن قرة بْن إياس، وهو ابن ست وسبعين سنة، وقال، في العام الذي مات فيه: رأيت كاني وأبي على فرسين فجرياً جميعاً ولم أسبقه، ولم يسبقني، فعاشا ستاً وسبعين سنة، وأنا فيها، فزوج إياس ابنه؛ فقال: أتدرون أية ليلة هذه؟ هذه ليلة استكملت فيها عُمَر أبي ونام فأصبح ميتاً[1].

يا يمامي

عَن الأصمعي، قال: أتى إياساً رجل؛ فقال: يا يمامي؛ قال: لست بيمامي؛ قال: يا أضاخي؛ قال: لست بأضاخي؛ فَقَالَ: يا ضروي؛ فجاء فسأله عَن نفسه؛ فقال: ولدت باليمامة، ونشأت بأضاخ، ثم تحولت إِلَى ضرية [2].

إن هذا له امرأة تسيئه الخلق

قال حماد بن زيد: كان إياس بن معاوية والصلت بن دينار في مجلس أيوب فكلما حدث بشيء لم يدعه حتى قطع عليه، فإذا فرغ منه ذهب الصلت يحدث فيقول له اياس: اسكت، وحدث. قال: فقال الصلت: ما تدعني أبلع ريقي وأتنفس. قال فقال اياس: إن هذا له امرأة تسيئه الخلق. قال: فقال: صدقت. فقال اياس: إنما سوء خلقك من ذاك لأنك خرجت ضجراً مغتماً فسوء خلقك من ذلك.

وليس يسلم عليك أخوك هذا؟

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٧٣.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٧٣.

عن سفيان بن حسين قال: كنت عند اياس بن معاوية وعنده رجل تخوفت ان قمت من عنده أن يقع في: قال: فجلست حتى قام، فلما قام ذكرته لأياس. قال: فجعل ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئاً حتى فرغت. فقال لي: اغزوت الديلم؟ قلت: لا. قال غزوت السند؟ قلت: لا. قال: غزوت الروم؟ قلت: لا. قال: فسلم منك الديلم والسند والهند والروم وليس يسلم عليك أخوك هذا؟ فلم يعد سفيان إلى ذلك.

كان أبو إياس يقول: إن الناس ولدوا ابناً وولدت أباً.

حديث عدي بن أرطأة مع إياس بن معاوية فيمن يصلح للولاية من القراء

قال عدي بت أرطاة لإياس بن معاوية: دلّني على قوم من القراء أولّهم. فقال له: القرّاء ضربان: فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا فما ظنّك بهم إذا أنت ولّيتهم فمكّنتهم منهم؟ قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم [1].

والله لا جمعني الله وإياك مجلس أبداً

قال عدي: اجتمع إياس بن معاوية وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر: أنتما مختلفان، وقد اجتمعتما، فتناظرا تتفقا.

فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل.

فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عز وجل؟ قال: العقل.

قال: فأخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسم؟ فأمسك غيلان.

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٧، ٢٥، ٣٠، ٣١.

فقال له: أجب فقال: لا جواب عندي.

فقال إياس قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين.

إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئاً، ذاده به عن المعصية، ومن تركه تهور.

قال الأصمعي: إن إياساً وغيلان اجتمعا، فقال له بعد سؤاله عن العقل وسكوته عن جوابه، قال له: سل عن غير هذا.

فقال له إياس: أخبرني عن العلم قبل أو العمل؟ فقال غيلان: والله لا أجبتك فيها.

فقال إياس: فدعها وأخبرني عن الخلق خلقهم الله مختلفين أو مؤتلفين؟ فنهض غيلان، وهو يقول: والله لا جمعني الله وإياك مجلس أبداً.

قال الأصمعي: ومن حديث عدي أن غيلان قال لعمر: أتوب إلى الله ولا أعود إلى هذه المقالة أبداً، فدعا عليه عمر إن كان كاذباً، فأجيبت دعوته [1].

حتى تتكامل العدتان

قال عمر بن علي: قال رجل لإياس بن معاوية: يا أبا واثلة حتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه.

فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل العدتان: عدة أهل النار، وعدة أهل الجنة [1].

قد أقر لك بحقك فخذه به.

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.
(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.

قال أبو محمد القرشي: استودع رجل رجلاً مالاً.ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال الطالب: إني دفعت المال إليه.

قال: ومن حضرك؟ قال: دفعته إليه في مكان كذا وكذا، ولم يحضرنا أحد.

قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى الشجرة، فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يبين لك حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل وقال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة، ثم قال له: يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا.

قال: يا عدو الله إنك لخائن.

قال: أقلني أقالك الله، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الأجل، فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه به.

ضرب عشر سنين وخمس سنين

واستودع رجل رجلاً كيساً فيه دنانير وغاب الرجل، فطالت غيبته فلما طال الأمر، فتق المستودع من أسفله، وأخذ الدنانير وجعل في الكيس دراهم وخيطه والخاتم على حاله، فقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة وطلب ماله، فدفع إليه الكيس بخاتمه فلم يقبله، وقال: هذه دراهم، ومالي دنانير.

قال: هذا كيسك بخاتمك، فرافعه إلى عمر بن هبيرة، فقال لإياس ابن معاوية: انظر في أمر هذين.فقال إياس للطالب: ما تقول؟ قال: أعطيته كيساً فيه دنانير.

قال: مذ كم؟ قال: مذ خمس عشرة سنة.

قال للآخر: ما تقول؟ قال: كيسه بخاتمه.

قال: منذ كم؟ قال: منذ خمس عشرة سنة.

قال: ففضوا الخاتم، ونثروا الدراهم، فوجدوا ضرب عشر سنين وخمس سنين، فأقر بالدنانير، فألزمه إياها [1].

أتشهد كما تفعل الموالي والعجم؟

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلاً في دينٍ وهو قاضي البصرة، فطلب منه البينة، فم يأته بمقنع، فقيل للطالب: استجر وكيع بن أبي سودٍ حتى يشهد لك، فإن إياساً لا يجترئ على رد شهادته، ففعل، فقال وكيعٌ: فهم إياسٌ عنه فأقعده إلى جانبه، ثم سأله عن حاجته، فقال: جئت شاهداً، فقال له: يا أبا المطرف، أتشهد

كما تفعل الموالي والعجم؟ أنت تجل عن هذا؟ فقال: إذن والله لا أشهد، فقيل لوكيع بعد: إنما خدعك، فقال أولى لابن اللّخناء![2].

فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه

وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض فقال تحت هذا دابة فنظروا فإذا حية فقيل له من أين علمت قال رأيت ما بين الآجرتين نديا من بني جميع تلك الرحبة فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس. قال الجاحظ وحج إياس فسمع نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أرسل فانتهزوا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال فقيل له من أين علمت قال كان نباحه وهو موثق يسمع من

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤١.
(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٢ /٣٦.

مكان واحد ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى ومر إياس ليلة بماء فقال اسمع صوت كلب غريب فقيل له كيف عرفته قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين فسألوا فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه (١).

لم يصلحْ إلاّ للذبح

قال أبو الحسن: كانَ إياسٌ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ضعيفاً دقيقاً دميماً وكانَ لَه أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى فكان معاويَةُ أبوه يقدِّمهُ علَى إياس فقال لَه إياسٌ يَوْماً يا أبتِ إنَّك تقَدِّمُ أخي عَلَيّ وسأضربُ لك مثلي ومثلَه: هو مثل الفَرُّوج حين تنفلق عنه البَيضة يخرج كاسياً كافياً نَفْسَهُ يلتقط ويستخفُّه الناس وكلّما كبر انتُقص حتى إذا تَمَّ فصار دجاجة لم يصلحْ إلاّ للذبح وأنا مثلُ فَرخِ الحمام حين تنفلق عنه البَيضةُ عن ساقطٍ لا يقدر عَلَى حركة فأبَواه يغذُوانِهِ حتّى يقوى ويثبتَ ريشُهُ ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير فَيجِدُ به الناس ويكرمونَهُ ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ويُشْتَرى بِالأَثْمانِ الغالية فقال أبوه: لقد أحسنت المثل فقدَّمه عَلَى أخيهِ فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ مما كانَ يظنُّ فيه (٢).

من كلامه – رحمه الله –:

- عَن إياس بْن معاوية؛ قال: لا تزوج المرأة إِذَا كانت تكلم فتسمع ولا تمشي فتسرع، ولا تزوج صغيرة الرأس، فإن عقلها في رأسها (١).

- لا خير فيمن لا يعرف عيب نفسه، قيل له: فما عيبك يا أبا

(١) ابن الجوزي، الأذكياء، ١ / ٢٩، ٣٠، ٩٧.
(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٢ / ٧٦، ١٥٢، ٢٧٩، ٥ / ١٠٥.
(١) أخبار القضاة، ١ /٣٣٣.

واثلة؟ قال: الإكثار، ثم قال: أما والله مع ذاك ما تدبر رجل عاقل قولي إلا وجد فِيْهِ بعض ما ينفعه [١].

- إنه إن يك في فعال الرجل فضل عَن قوله أجمل من أن يكون في قوله فضل عَن فعاله [٢].

- امتحنت خصال الرجال، فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

- كل ما بني على غير أساس فهو هباء، وكل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء [٣].

- ما فقه رجل قط إلا ساء ظنه بالناس [٤].

- قَالَ إياس بْن معاوية: لا بد للناس من ثلاثة أشياء؛ لا بد لهم من أن تأمن سبلهم، ويختار لحكمهم حتى يعتدل الحكم بينهم، وأن يقام لهم بأمر البعوث التي بينهم وبين عدوهم؛ فإن هذه الأشياء إِذَا قام بها السلطان احتملوا الناس ما سوى ذلك من أثرة وكثيراً مما يكرهون.

- كل بنيان بني على أساس أعوج لم يستقم بنيانه[٥].

- إياك وما يستبشع الناس الكلام، وعليك ما يعرف من القضاء[١].

- لون الشعر الذي هو لونه البياض وإنما السواد قبل إدراكه،

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٤٥.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٥٠.
(٣) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.
(٤) أخبار القضاة، ١ /٣٥٤.
(٥) أخبار القضاة، ١ /٣٥٦.
(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٨.

كالثمرة قبل إدراكها [١].

- إياك وما يتتبع الناس من الكلام، وعليك بما تعرفه من القضاء[٢].

- وقال إياس بن معاوية: إن الرجل يكون عليه ألف فينفق ألفاً فيصلح فتصلح له الغلة. ويكون عليه ألفان فينفق ألفين فيصلح فتصلح له الغلة. ويكون عليه ألفان فينفق ثلاثة آلاف فيتبع العقار في فضل النفقة[٣].

* * *

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦١.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٦٣.
(٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البخلاء، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٢ / ٦٤.

obeikandl.com